العرب
الإثنين 2021/08/30
السنة 44 العدد 12164

كتّاب دون منابر ومنابر دون كتّاب

الجاحظ كان دقيقا حين فرّق بين الكتّاب والكَتَبة

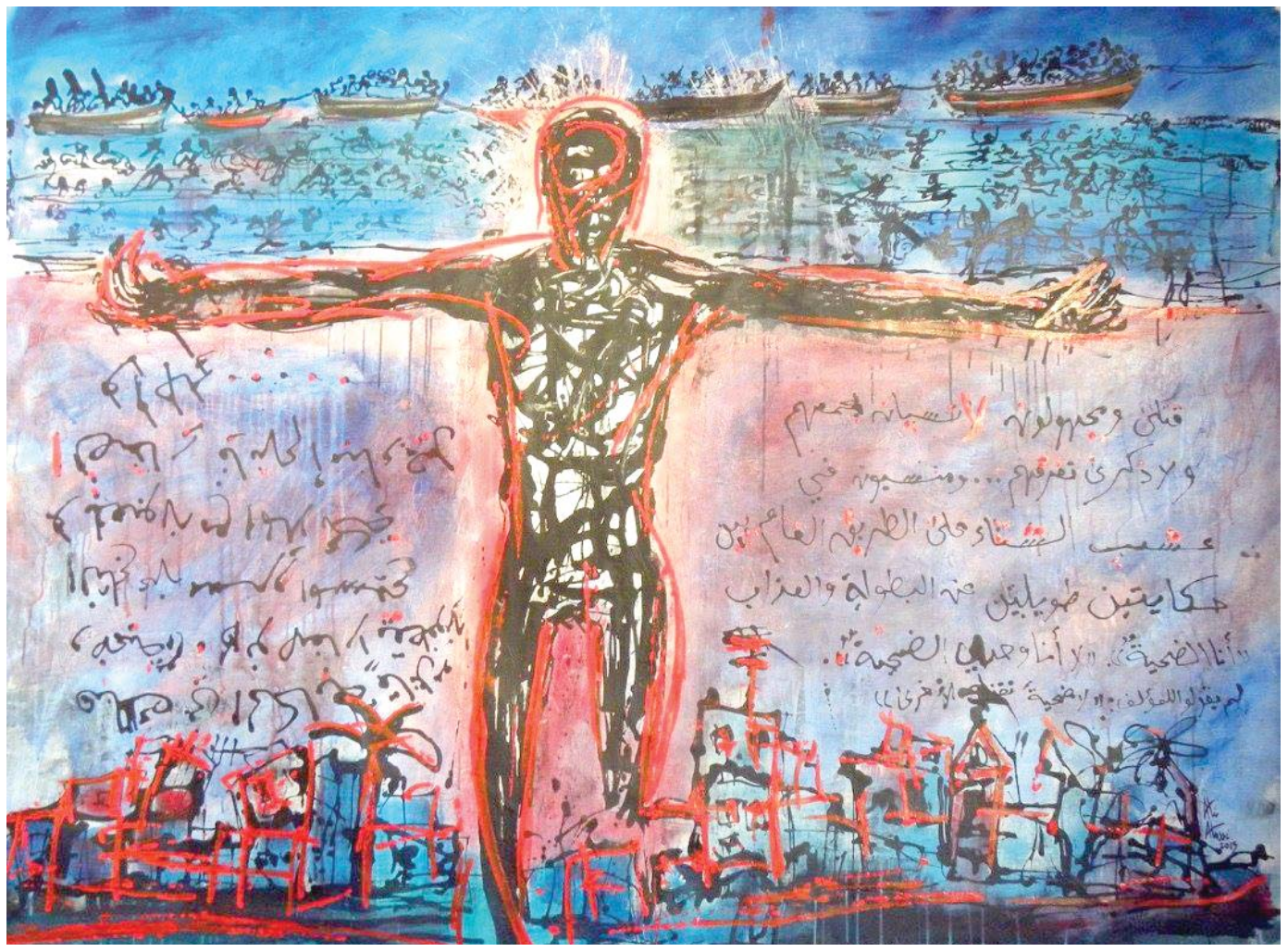

هوس الكتابة غليان الحبر في الأقلام (لوحة للفنان عدي التاسي)

الكتابة رحلة لا تعنى بالوصول مطلقا، ولكن البعض يتخذها هدفا إلى محطة ما –حب، مال، شهرة، أو غير ذلك– هؤلاء يزاحمون الشغوفين بالرحلة، وقد يقصونهم، وهذا ما يخلق نوعا من الصراع بين كتاب يمارسون الرحلة كوجود وآخرين يمارسونها كغاية لما هو أقل شأنا، لكن في هذا الصراع من الذي ينتصر؟

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

الأدباء الذين يكتبون في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والمواقع الإلكترونية عادة ما يشعرون بالغبن ويكثرون من التذمّر، كون الكتابة الصحافية في نظرهم مقبرة للأدب وشكلا من أشكال "النحت في الريح".

ما يحز في نفس الكاتب هو أنه يكتب وهو يعلم سلفا أن جهده سيذهب أدراج الرياح، وأن مصير هذا الورق معروف، لا بل أي ورق؟ فلنقل هذا "الورق الافتراضي" الذي لا يصلح لمسح البلور أو فرشه تحت أطباق الطعام.

الاستمرار والبقاء

المؤلفات الأدبية والفكرية تبقى، على الأقل، أكثر وجاهة وتقديرا؛ إذ يكفي أن يذكر الواحد في سيرته الذاتية أسماء الكتب التي صدرت له، وليس عناوين المقالات التي نشرها في الصحف والمجلات.

أما الأدهى والأمر فهو أن بقاء الكاتب في موقعه صار غير مضمون أمام بداية انقراض المطبوعات الورقية، وضعف الإمكانيات المادية لبقية المنابر الإعلامية حيث تكثر الطلبات وتقل العروض، وسط تهافت المنصات الإلكترونية المجانية والعشوائية، وضحالة مستويات الكتابة التي صارت شغل من لا شغل له.

ولكي لا يمضي المرء في التشاؤم والتشكي فإن الكتاب الحقيقيين مازال لهم حضورهم ومكانتهم في المنابر المحترمة وإن كانت قليلة، لكن المنافسة حامية الوطيس وكذلك غير عادلة ولا نزيهة.

ويبقى الرهان دائما على جودة الكتابة رغم الخشية من المقولة السائدة في الأسواق "العملة المزورة تطرد العملة الصحيحة"، وهو أمر يكاد يكون مشاعا هذه الأيام، لكن المبدعين لا ينقرضون على مدى التاريخ، ويمتلكون "مناعة" تمكنهم من الاستمرار والبقاء على قيد الكتابة.

أعترف بأنّي قد تردّدت كثيرا في تشبيه المبدع الحقيقي بالهرّ الذي قد تتّحد ضدّه الفئران وتفلح مجتمعة –أو بعد طلب معونة ما– في إلقائه من أعلى الطوابق فلا يقف إلا على قدميه ويواصل سيره بحثا عن طابق آخر وكأنّ شيئا لم يكن.

قد تبدو المقاربة فجّة ومسيئة للطّوابق قبل الفئران والقطط والمصائد النبيلة أو الدنيئة بقدرة المال وتوجّهاته وتوابعه ونوازعه.

> الكاتب الذي يثبت في مكانه طويلا يتحول مع الوقت إلى رسم تبهت ألوانه فيمل الناس ما يكتب

إنّها على كل حال فكرة الإصرار على الكتابة لدى المبدع الذي لا يملك شيئا آخر يصرّ عليه، وكذلك الكتابة حين تغوي أصحابها وتغدو قدرهم دون غيرهم من المدلّسين والمزوّرين.

جلس نابليون يوما حيث لا ينبغي له أن يجلس (في نظر مجالسيه) وانتبذ مكانا قصيّا وسط جمع من الحاشية وترك كرسيّه للفراغ والنّمائم، فأشار إليه أحدهم بضرورة الجلوس حيث يجب الجلوس، ردّ الإمبراطور الذي لم يكن قصيرا إلاّ في قامته، ردّ بكلّ ما أوتي من دهاء وطرافة الكورسيكيين "العرش حيث يجلس نابليون يا بني، ويا أيّها القوم من معاشر الأغبياء والمتزلّفين".

نعم، التاج هو ما يبرق تحت التاج، كذلك العرش هو حتما ليس ذاك الذي "تعرّشت" تحته الأقدام بل شيء آخر تمسك به القبضة قبل أن تمسك بالصولجان. حينها تصبح الكتابة إمساكا بالكتابة نفسها، قبل الإمساك بالقلم أو بأزرار الكيبورد كأداة من أدواتها.

قد تتعدّد الأمكنة أو تختلف وقد تطول المنابر أو تقصر وقد ترتفع الأصوات أو تزيد، لكنّ الكلمة واحدة، في رحم الظلمة كانت أم في رحم النور.

قد يتهافت كتّاب دون غيرهم على منبر إعلاميّ دون غيره وهم في ذلك يشبهون ركّابا يتزاحمون على الجلوس في المقاعد الأماميّة لحافلة ستوصل الجميع دون استثناء، ونحو محطّة واحدة ولكنّ الأخيرة لا تعترف إلاّ بالأفضل.

الكتّاب والكتبة

أدمن بعض محترفي التهميش والإقصاء ثقافة التغييب والإسكات رغبة منهم في الاستحواذ على المنبر ولا يعلمون أنّ كلمات الكبار تسمع دون ميكروفونات بل وتصبح أكثر تأثيرا إن هم آزروا المقاعد الخلفيّة.

يعلم التاريخ البشري أنّ كتّابا كثيرين كتبوا بأسماء مستعارة –لسبب أو لآخر– وآخرين كتبوا بأسماء معارة –لسبب أو لآخر– ويعلم التاريخ أيضا أنّ فئة أخرى توقّفت عن الكتابة لأسباب أو لأخرى، ولكنّه احتفظ بأجمل ما كتب واعترف بأجمل ما لم يكتب وقدّر الأسباب ونسي الآخرين.

من أصابته لوثة الكتابة سوف يكتب، متى وأينما وكيفما شاء: على الجدران والطاولات والهواء، سوف يكتب بقلم أو إصبع أو دون أصابع وسوف ينشر على صحيفة أو موبايل أو حبل غسيل، وسوف يقرأ له قارئ أو أميّ أو جنيّ. وسوف يقول له شخص ما "أحسنت"، و إن كان بقالا في حارته أو امرأة تحبّه أو حتّى مرآة صباحيّة كشفته ذات صباح متلبّسا بالحلاقة والندم.

> الرهان يبقى على جودة الكتابة رغم الخشية من المقولة السائدة في الأسواق «العملة المزورة تطرد العملة الصحيحة»

الكاتب الذي يتنقّل بين المنابر المختلفة كالطير الذي لا يستكين إلى شجرة واحدة، شرط ألا ينسى جناحيه وطريقته في التغريد.

الكاتب الذي يثبت في مكانه طويلا يتحوّل مع الوقت إلى رسم تبهت ألوانه فيملّه الناس وما أدراك ما الملل. الملل إذن هو روح تموت وتتفسّخ داخل جسد مازال حيّا ونضرا.

قد نتذكّر لون الأسطح والقرميد والأشجار والحقول ولكن من يتذكّر منّا لون الحرباء؟ من يتذكّر لون البراري قبل أن يمرّ عليها الربيع بألوانه من يتذكّر أسماء الأباطرة والملوك في عهد دانتي وشيلر وراسين وغوته؟

يخيّل للمرء أنّ الصخرة التي يدفعها سيزيف كلّ صباح هي حصان امرئ القيس الذي حطّه السيل من عل، وهي كناية عن الكاتب الذي يعي جيّدا وهم القمّة ومع ذلك يسعى إليها، أمّا سيزيف فهو هوس الكتابة وغليان الحبر في الأقلام.

هناك كتّاب دون منابر وهناك منابر دون كتّاب، هذا هو حال الكتابة في عالمنا العربي وسيظل هذا الخلل قائما ما أقامت بيننا الضغائن والمحسوبيات الضيّقة، بل الأمر جزء من جدليّة المناسب وغير المناسب التي وقفنا أمامها كمعضلة دون حلول.

الغريب في الأمر أنّ كتّابا يشتكون من ضيق الهامش واتّساع التهميش ضدّ أهل المهنة يمارسون هم أنفسهم أشنع الأساليب ويأتون بمثل ما يدّعون مقارعته ومواجهته.

لقد كان الجاحظ دقيقا حين فرّق بين الكتّاب والكتبة ووصف الكتابة بالصنعة أو المهنة وليس الامتهان لأنّه ارتهان، أمّا الهواية فغواية وما أجمل الغواية حين تمسي عشقا مزمنا وعصيّا على المنابر والتصنيف.

ملتقى الأدباء.. ندوات في المشهد الثقافي السعودي

أبها (السعودية) – اختتم ملتقى الأدباء جلساته مساء السبت بندوات ومحاضرات شملت موضوعات ذات علاقة بواقع المشهد الأدبي السعودي وآفاقه المستقبلية، وسط حضور أدباء ومثقفين سعوديين من مختلف مناطق المملكة.

وبدأ اليوم الثاني من الملتقى الذي تنظمه هيئة الأدب والنشر والترجمة، بالشراكة مع شركة السودة للتطوير، بلقاء أدبي شيق مع الناقد محمد العباس في جلسة حملت عنوان "مستقبل الأدب السعودي بين الفرد والمؤسسة" أدارتها ملاك الجبلي.

وتناول العباس خلال الجلسة دور المؤسسة في التعامل مع مستجدات العصر بما تحتويها من وسائل حديثة جعلت النص يتراجع إلى مرحلة اللانص، مؤكداً أن الأديب الحقيقي هو من يصنع النص ويملك المعلومة والمعرفة. وأشار العباس إلى ضرورة التفاعل مع شعار وزارة الثقافة الذي يدعو إلى جعل "الثقافة نمطاً للحياة".

وفي الجلسة الثانية التي حملت عنوان "رحلتي مع كتابي الأول" استعرض كل من الروائيين مريم الحسن والحسين معافا وولاء تكروني ومحمد العرادي تجاربهم مع إصداراتهم الأولى والتحديات التي واجهتهم إلى أن تكللت جهودهم بالنجاح.

وتناولت الجلسة الثالثة التي تحدث فيها المدير التنفيذي لدار مدارك للنشر خالد العتيق "فرص الاستثمار في المجال الأدبي"، حيث ذكر أن حجم استثمار النشر في المملكة يبلغ 4.5 مليار ريال من خلال 500 دار نشر.

وقال "إن أكثر ما يشغل تفكير المبدع هو ما يتعلق بالنشر والحقوق المادية والأدبية والانتشار والتوزيع"، مشيراً إلى أن دورة عمل النشر عالمياً تختلف عنها في العالم العربي التي تعتمد على المؤلف والدار والموزع والقارئ، مؤكداً أن السوق في قادم الأيام واعدة جداً.

وفي الجلسة الأخيرة التي حملت عنوان "مستقبل أدب الأطفال واليافعين في المملكة" شارك كل من الكاتبة والناشرة الدكتورة أروى خميس، والكاتب الباحث فرج الظفيري وأدارتها ملاك الجبلي، وتطرق المشاركان إلى ضرورة الاهتمام بأدب الطفل، وتخصيص مسارات خاصة به في الكليات والهيئات المعنية.

> ملتقى الأدباء يختتم نشاطه بندوات أدبية وفكرية عن دور النقد وأهمية أدب الطفل وهموم قطاع النشر في السعودية

وعدّدت خميس أبرز التحديات التي تواجهها في مجال النشر، وتتمثل في ندرة الكاتب والرسام والمطبعة المخصصة لتوفير المحتوى المناسب للأطفال، إضافة إلى عدم توفر مكتبات في المدارس تسهم في زيادة انتشار الكتب المخصصة للطفل.

وأوضح الظفيري أن المسابقات والجوائز المتخصصة في مجال أدب الطفل لها إيجابيات وسلبيات، وقال "من إيجابيات الجوائز أن تقدم الدعم المالي للإسهام في تسويق المنتج، إضافة إلى تحقيق انتشار أكبر للفائز، فيما تكمن سلبياتها في عدم وضوح وتمكن لجان المسابقة، كما أنها تفتح الباب للدخلاء والمتطفلين للمشاركة بهدف الجائزة فقط".

واختتمت أعمال الملتقى بالعروض الفلكلورية الشعبية التي تتميز بها منطقة عسير من فن العرضة والخطوة والدمة وغيرها من الألحان والأهازيج والرقصات على قرع الطبول ولحن الشاعر في أعلى قمم جبال السودة.

اتحاد الكتاب الفلسطينيين يستذكر ناجي العلي في ذكراه الرابعة والثلاثين

رام الله – أصدر الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين الأحد بيانًا في الذكرى الرابعة والثلاثين لاستشهاد الفنان الفلسطيني ناجي العلي، حيث اعتبر أن أربعة وثلاثين عاما مرت على غياب الفنان، لكنه ترك ريشته وحنظلة في منتصف الطريق، فالفنان الذي عاش من أجل وطنه، ورفض الخنوع والميل عن الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني، فتح مساره الواضح فوق الجسر المعاكس للمنفى، ولم يتردد في خوض اشتباكات لا مناص منها من خلال أعماله الفنية المؤثرة، والتي أدت إلى اغتياله في التاسع والعشرين من أغسطس سنة 1987 في لندن.

وأضاف بيان اتحاد الكتاب الفلسطينيين أن "ناجي العلي الذي جعل من ظهر حنظلة موقف المصرّين على حق الشعب الفلسطيني في الحياة بكرامة ووطن طبيعي وخالٍ من المحتلين، أشهر ريشته المبدعة لتحرس الحلم الخالد، ولا تنهزم أمام نزوة الخداع، ولا تهان في معركة الثبات، فكان المتميز بتعبيراته، والمناضل في مواقفه، والمقدام في منازلاته، ولا شفيع عنده في حقوق شعبه".

> الفنان الراحل ناجي العلي جعل من ظهر حنظلة موقف المصرّين على حق الشعب الفلسطيني في الحياة بكرامة

وتابع البيان أن العلي عاش متصالحًا مع ذاته، ومع شعبه، وثائرًا من أجل استعادة حقوقه مدافعا عبر فن الكاريكاتير عن المهمشين والفقراء وناقدا الاحتلال وحتى منظمة التحرير الفلسطينية نفسها، حيث لم يكن منحازا إلى ما يعتبره هو صوت الحق، وهذا ما قاده إلى المنفى ورغم ذلك لم يترك قضايا بلده وشعبه التي عبر عنها خاصة من خلال شخصية حنظلة، ذلك الفتى الذي يدير ظهره للعالم ولا أحد يعلم ملامحه.

الكاريكاتير في صف الشعوب